المحور التاسع

شـهـــــادات

obeikandl.com

زكى نجيب محمود وبلوغ الثمانين (*)

توفيق الحكيم

أردت أن أُهنِّئ الدكتور زكى نجيب محمود ببلوغه الثمانين . . وكنت بالمستشفى ورقم تليفونه ليس معى . وفطنت إلى أن التهنئة بالكلمة ليست كافية ؛ فمجرد مرور سنة من العمر لا يعنى فى نظرى شيئاً مهمًّا . . إنما المهم هو ما صنع الإنسان بهذا العمر . .

وما صنعه زكى نجيب محمود فى عمره ليس بالقليل . . لقد قرأ حتى ضعف بصره ، وحمل على كتفيه قضية هى أجلُّ وأخطر قضية فى حياتنا الفكرية : قضية تجديد الفكر العربى . . وهو يواصل فى كل كتاباته السير فى هذا الطريق مسلِّطاً أشعة مصباحه الفكرى على كل المراحل التى فطنت إلى هذا الطريق وحاولت أن تضيف حجراً فى بناء هذا التجديد . . باحثاً منقباً عن صفة هذا التجديد وعناصره وملامحه كما يراه ويتمناه . . وهو عمل شاق تحمَّله بصبر وإصرار ، دون انتظار لشكر أو رغبة فى تكريم . .

لأن زكى نجيب محمود يعلم أن دولة الفكر وخاصة فى بلادنا بعيدة عن هذه العملة الذهبية التى يجرى تداولها فى ملاعب الأقدام وانتصاراتها ومغانى الأصوات وألحانها . . فالفكر مثل المحرِّك الخفىّ فى جوف السيارة . . لا تراه الأعين ، التى لا ترى غير العجلات التى تسرع بالسيارة والنفير الذى يدوِّى بالتنبيه . . أما المحرك الصامت المسكين فلا يدرى كيف ينبه الناس إلى وجوده القابع فى الداخل .. وماذا يهمه من ذلك ما دام يقوم بواجبه وعمله الذى خُلق له ورسالته التى كُلِّف بها - وهى دفع السيارة إلى السير - ؟

ولكن الذى سرنى هو أن أجد من بين المثقفين من يذكر زكى نجيب محمود ويعرف فضله . ومنهم هذا الذى أرسل إلىَّ ما ألقاه تنويهاً بعمله فى هذه المحاضرة الطويلة التى أرجو أن تجد طريقها إلى النشر فى الأهرام دون أن يحول دون ذلك طولها وعدد صفحاتها . . ولا يوجد عندنا الآن مع الأسف مجلة متخصصة فى الفكر تتيح النشر لمثل هذه الموضوعات العميقة . .

(*) يمكن الرجوع إلى شهادات أخرى بين ثنايا المحاور السابقة .

إضافة إلى أن رجال الفكر عندنا لم يعتادوا -بعد- التعاون على حمل الفكرة الكبيرة . . بل سلكوا مسلك المجتمع كله الآن . . «مجتمع الصراصير» كما أُسمِّيه ، دون قصد الإهانة أو السخرية . . فهو مجتمع مختلف عن «مجتمع النمل» . . فالنملة عندما تعثر على قطعة سكر تجدها وقد اجتمعت حولها جماعة من النمل تتعاون على حملها . . أما «مجتمع الصراصير» فهو مثل مجتمعنا اليوم .. قلَّما تجد مجموعة من الصراصير تحمل فكرة وتعمِّقها وتفيد بها . . لأن كل صرصار مشغول بنفسه فقط . . ولهذا لا يوجد بناء فكرى أو فلسفى أو أدبى يقوم شامخاً متكاملاً . . إنما الموجود أفراد ، كل فرد مشغول بفكرته يحملها وحده ، ولا يلتفت أو يهتم إلا بما يحمله هو .. وهذا سر من أسرار تخلُّف مجتمع «الصراصير» ..

فمعذرة أيها العزيز زكى نجيب محمود . . وربما يتغير الحال ويلتقى الجميع على فكرتك العظيمة فى «تجديد الفكر العربى» . . وأرجو أن أحقق رجاء **الدكتور عاطف العراقى** فى نشر كل أو ما يتيسر من محاضرته عنك . . وهو أقل القليل ؛ تنويهاً بأعمالك التى ستبقى ما بقى الفكر العربى.

توفيق الحكيم